جامعة القادسية

كلية الآداب

قسم الاجتماع

العدالة في الخطاب الحسيني

(يوتوبيا مجتمع متخيل) تحليل سوسيوثقافي

بحث مقدم من قبل الدكتور

طالب عبد الرضا كيطان

1436 هـ 2015

University of al Qadisiyah

college of Literature

Department of Sociology

Justice in the speech –Husseini

(Utopia imagined community) analysis Sosiothagava

Research presented by Dr.

Talib Abd al–Rida Gitan

العدالة في الخطاب الحسيني (يوتوبيا مجتمع متخيل)

تحليل سوسيوثقافي

المقدمة

إن النظام الاسلامي مر بتجربة من أروع تجارب النظم الاجتماعية وانجحها ، ثم عصفت به العواصف بعد أن خلا الميدان من القادة المبدئيين ، وبقيت التجربة في رحمة أناس لم ينضج الاسلام في نفوسهم ، ولم يملأ أرواحهم ظروفه وجوهره ، فتقوض الكيان الاسلامي وبقي نظامهُ فكرة في ذهن الأمة الاسلامية ، وعقيدة في قلوب المسلمين ، واملاً يسعى الى تحقيقه دعاة الحق والمجاهدون .

في الوقت الذي اظهر حكم بني أمية الاسلام بمظهر الحكم الطاغوتي وحاولوا أن يشوهوا منهج محمد صلى الله عليه ,وآله وسلم ، وقد فعلوا الأفاعيل ضد الإسلام وارتكبوا مالم يرتكبه جنكيز خان في العراق وايران ، وحاولوا طمس معالم الدين وتشويه صورته الناصعة ، فقادتهم كانوا يشربون الخمر ويأمون المصلين في الصلاة ايضاً ، وكانت مجالسهم من مجالس اللهو والطرب وتمارس فيهما كل الانحرافات الخلقية ، ثم تقام بعدهُ صلاة الجماعة ، فيتقدمون لإمامة تلك الجماعة ، ويرتقون منبر الخطابة ، فقد كان سلوك التلوين والازدواجية من سمات شخصيتهم .

وقد وصلت حالة الأمة في حكم معاوية وابنه يزيد الى حالة من الفوضى والانحطاط الأخلاقي والظلم وخرقاً واضحاً وتمرداً على شروط ومواصفات الحاكم التي وضعها الإمام علي عليه السلام وهي مواصفات ومحددات علمية لمن يمسك زمام السلطة خشية من عواقب انحرافها ولا سيما الحرية السياسية وسبل التعبير عن الرأي انطلاقاً من الشريعة الاسلامية ، حيث قال في أهمية الوطن " ليس بلدُ بأحقِ بك من بلدٍ ، خيرُ البلاد ما حملكَ ([1]). فكل بلد هو وطن لكل فرد ، ينبغي أن يعمل لإنعاشه ، وتحقيق العدالة فيه ، وليس خير البلاد وأفضلها بلداً ولدت فيه ، وضم اجدادك وآبائك بل أفضلها ما يقدم لك أسباب الحياة من العيش والأمن والحرية والكرامة .

([1]) نهج البلاغة ، الحكمة (435)

كل عناوين هذه الأسباب والدوافع التي كتب الباحثون والمفكرون عنها مئات الكتب والأبحاث دعت الى أن ينهض رجل عظيم تغذى من عصارة الوحي الإلهي وتربى في أحضان سيد الرسل محمد المصطفى صلى الله عليه وآله ، وسيد الأولياء علي المرتضى عليه السلام ، وترعرع في احضان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فانتفض ثائراً ليضع ومن خلال تضحيته الفذة ونهضته الإلاهية أكبر ملحمة جهادية في التاريخ منطلقاً من عدالة صحيحة يجب أن يكون عليها وضع الأمة ، ولا يخفي على أحد ما كان للخطاب الحسيني من صدارة في سجل الحركات الإصلاحية ، وللنهضة الحسينية من مكانة عند الثائرين ، فهي من أعظم الحركات التي عرفها التاريخ الانساني على الاطلاق وذلك لأنها اشتملت على كل المبادئ والقيم الانسانية وتجسدت فيها اجمل وأروع صور الشجاعة والصبر .

لقد افهمنا سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ، إن على الأحرار أن لا يخافوا في مواجهة حكومة الجور والظلم ، وكان يأمل من الناس وهو يخاطبهم ليذكرهم بقيمة الحرية والعدالة ، وهكذا هو الأمر اليوم في بلدنا فإن الخطاب الحسيني قد حدد تكليفنا وواجبنا الشرعي والأخلاقي والوطني فكلما عظم هدف الأنسان وسمت غايته كان عليه أن يتحمل المشاق أكثر بنفس النسبة ، فنحن ربما لم ندرك بعدُ جيداً حجم الانتصار الذي حققناه ، وسيدرك العالم فيما بعد عظمة النصر الذي حققهُ الشعب العراقي .

ولا بد أن نقف عند نقطة جوهرية إن التنوع في الفهم الخاص بالخطاب الحسيني وحركته وثورته المباركة وبعدها اليوتوبي ، وما أنتج عن ذلك من تراث فكري تحول الى عقيدة ومنهج للثائرين أفرز واقعاً إسلامياً أصيلاً وهم الثلة القليلة ، وأخر واقعاً إسلامياً متلوناً ودخيلاً امتدت جذورهُ الى يومنا هذا .

كل عناوين هذه الأسباب والدوافع التي كتب الباحثون والمفكرون عنها مئات الكتب والأبحاث دعت الى أن ينهض رجل عظيم تغذى من عصارة الوحي الإلهي وتربى في أحضان سيد الرسل محمد المصطفى صلى الله عليه وآله ، وسيد الأولياء علي المرتضى عليه السلام ، وترعرع في احضان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فانتفض ثائراً ليضع ومن خلال تضحيته الفذة ونهضته الإلاهية أكبر ملحمة جهادية في التاريخ منطلقاً من عدالة صحيحة يجب أن يكون عليها وضع الأمة ،.

المبحث الأول : التراث النظري للدراسة

المطلب الأول : موضوع الدراسة

لو اخذنا البعد الأخلاقي والاجتماعي للخطاب الحسيني والذي عادةً ما تكون لغته متجددة عبر هذه المرحلة الطويلة من الزمن ، وثقافته ومفرداته التي تواكبت وتحاور ثقافة اليوم بكل ابعادها ، لا بل أكثر صور يوتوبيا التعايش والتسامح مع الآخر بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه .

ولكن المشكلة في الموضوع أن الامام الحسين عليه السلام كان يحاور الآخر ويدعوه بمخيلته وثقافته التي تعلمها من مدرسة جدهِ الرسول محمد صلى الله عليه وآله وهي ثقافة قليل من يتعامل بها في عصر تمادت فيه الانساب والألقاب على الثوابت والقيم الاخلاقية ، وأصبح التعدي على حقوق الآخر وانتهاكات حرماته مظهر من مظاهر التفاخر والشهرة ، وللأسف كانت توجد لهذه المظاهر قاعدة اجتماعية واسعة ربما يسيطر عليها دافع الخوف من السلطان ، واحياناً اخرى تسيطر ثقافة التلون ، او الثنائية الثقافية كما يسميها علي الوردي على العامة من الناس أو أفراد الحاشية والمقربون خوفاً على منزلتهم الوظيفية والاجتماعية ، وبالتالي فإن المجتمع المتخيل في تلك الفترة يعترف بأهداف الامام الحسين عليه السلام وبشخصه المقدس وهو أبنُ من ؟ و وجدهِ من ؟ ، كل تلك الاعترافات كانت ظاهرية شكليه يحددها المكان والزمان (أي الموقف) ، وبالتالي كان المجتمع يتفق بأن الأمام الحسين عليه السلام كانت اهدافه التي اتصفت بها نهضته المباركة أهداف إصلاحية تهدف أول الامر الى حفظ الدين ورسالته السامية والى بناء الانسان وحفظ حقوقه الانسانية ، وقد عرفها الأمام عليه السلام بأنها الاصلاح من خلال بيانهُ الذي أذاعه على أصحابه قائلاً :

" وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ولكن خرجت في طلب الإصلاح في امة جدي أريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي " ، ولنتمعن بعمق كيف كان الامام الحسين عليه السلام يخاطب مجتمع زمانهُ في خطبته الاولى ونقف عند حيثيات تلك الافكار الاصلاحية التي تهدف الى بناء الانسان لأنهُ صيرورة عظمى خلقت في أحسن تقويم وأفضل صورة ، فكان الامام الحسين عليه السلام يقول في خطبته الاولى " الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم ، يحوطونهُ ما درَّت معائشهم فإذا مُحِصوا بالبلاء قلَ الديانون "، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله وقال أما بعد فقد نزل بنا من

الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت ، وأدبر معروفها ، ولم يبقَ منها إلا الإصبابة كصبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون إن الحق لا يعمل به ، وإن الباطل لا يتنامى عنهُ ، ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما ([1]). وبتحليل متواضع إن الخطاب الحسيني له دلالة وعمق كبيرين وهو كان يخاطب امة عالكة على الاستسلام والخنوع للحاكم الظالم ، وهذه الكلمات كأنها حاضر مادي ومستقبل منظور يستميح الزمن عذراً ان يجعل أحد أبعاده تتراوح بين زمن أولد الحادثة وقد مضى وزمن يستعيدها بشخوصها ومواقفها .

المطلب الثاني : أهمية البحث

1–إن الثورة الحسنية وأهدافها كانت تحمل ابعاداً اجتماعية ،وانسانية ،ودينية، وسياسية ، واقتصادية ، وفكرية وهي كانت تدعو المجتمع التضحوي ، المجتمع الانساني الى التحرر والبناء وفق النظرية الاسلامية .

2–دخلت الثورة الحسينية في غوامض النفس الانسانية وحققت طموحاتها التي لم تحققها أية حركة إصلاحية وانتصر الدم على السيف الهدام الذي لا يعرف إلا لغة العنف والوحشية ويتجرد عن أي مفهوم للإنسانية والتحاور مع الآخر .

3–تكمن أهمية البحث في هذه المعاني السامية والموضوعية في الخطاب الحسيني من خلال رسالته التي وجهها الى بني هاشم حينما خرج من مكة متوجهاً نحو العراق ، وبكل شفافية وصراحة قال عليه السلام " من الحسين بن علي بن أبي طالب الى بني هاشم " أما بعدُ فإنهُ من لحق بي منكم استشهد معي ، ومن تخلف لم يبلغ الفتح " ([2]).

4–تكوين ثقافة اجتماعية دينية مؤثرة في نمو الإدراك الصحيح والمسلك السليم في ظل ما نواجههُ من حرب مدمرة تحاول استهداف مكامن القوة الفكرية والمادية في مجتمعنا .

(1) السيد محمد علي الحلو ، الظاهرة الحسنية ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، كربلاء المقدسة ، 2011، ص 31–32 .

(2) الشيخ أكرم بركات ، برقية الامام الحسين – كلمتان تختصران الثورة ، ط2، بيروت ، 2011 ، ص5 .

المطلب الثالث : أهداف البحث

1-استحقاق العدالة الانسانية في المجتمع الحديث وفق اهداف الثورة الحسينية من خلال ترجمة الخطاب الحسيني الى واقع عمل في كل مجالات الحياة اليومية .

2-محاولة التثقف بالذات الحسينية من خلال تعاملنا مع أفراد اسرتنا وتعاملنا مع الآخر في مجالات اعمالنا المختلفة .

3-منح الأسس الفكرية الصحيحة للشباب من خلال الخطاب الحسيني العادل .

4-بناء الانسان بناءً حسينياً متحضراً لا ينغلق على ذاته ويحاور الآخر بغض النظر عن قوميته، وجنسه ولونه ،وموقعه ، وأول أسس البناء أن تبدأ بالطفولة كون بناء المجتمعات يبدأ بطفولة سليمة .

5-أن يكون الخطاب بين العمامة والأفندي خطاباً حسينياً بناءً توحدهُ العدالة ، وينبذ ثقافة تسقيط الآخر .

6-توحيد هوية الانتماء مع الحفاظ على الانتماءات المذهبية الاخرى ، وجعل الانتماء للعراق واقع يعلو على كل الانتماءات من خلال ثقافة السلم الاجتماعي التي تبلورت أفكارها واهدافها في الخطاب الحسيني .

المطلب الرابع : تساؤلات البحث

1-ما هو المستوى الذي وصلت اليه العدالة الانسانية في مجتمعنا وفق مبادئ نظرية الخطاب الحسيني .

2-ما هي صورة التعامل مع الآخر .

3-لماذا تذوب جميع الأنوات في المسيرة الحسينية في أنا واحدة ترسم أجمل صورة ليوتوبيا العدالة .

4-ما مدى تأثير الخطاب الحسيني على الصراعات الفكرية المنحرفة .

5-كيف نبني إنساناً قبل أن نبني وطن .

6-كيف نبدأ بطفولة سليمة .

7- ما مدى تأثير الخطاب الحسيني على ثقافة التعايش والتساند بين رجل الدين المؤمن والمسلم العلماني .

8- ما هو عنوان هوية الانتماء للوطن .

المبحث الثاني : مفاهيم البحث

المطلب الأول : الأمام الحسين .

هو الامام الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام) الهاشمي القريشي ، ثالث الأئمة الاثني عشر ، وخامس أصحاب الكساء ، وخامس المعصومين الاربعة عشر .

ألقابهُ : سيد الشهداء ، ثار الله ، الوتر الموتور ، أبو الأحرار ، سيد شباب أهل الجنة .

كنيتهُ : أبو عبد الله ، سبط رسول الله .

ولادته: كانت ولادته عليه السلام بعد عشية يوم الخميس ليلة الجمعة الخامس من شهر شعبان من السنة الرابعة الموافق 626/1/9م حسب ما توصل اليه المحقق العلامة الشيخ محمد صادق الكرباتسي ، لكن المشهور هو إن ولادته في الثالث من شهر شعبان من تلك السنة في المدينة المنورة ، وكان مدة عمره (56) عاماً وخمسة أشهر وخمسة أيام ، ومدة اقامته كانت عشرة أعوام وعشرة أشهر وأياماً ، وذلك من شهر صفر (50)هجرية وحتى اليوم العاشر من شهر محرم (61) هجرية ([1]) .

نقش خاتمه : إن الله بالغ أمره .

من زوجاته : شاه زنان بنت يزدجر ملك ايران ، وهي أم السجاد عليه السلام ، وهي أميرة فارسية ، وليلى بنت عروة إبنُ مسعود الثقفي ، وهي أم علي الأكبر ، والرباب بنت أمريء القيس بن عدي ، وهي أم سكينة ، وعلي الأصغر المشهور بعبد الله الرضيع ، وأم أسحاق بنت طلحة بن عبد الله ، وهي أم فاطمة ، ولهُ ست أولاد : أربعة من الذكور وبنتان ، فأما الإناث فهُن سكينة وفاطمة ، وأما الذكور فهم علي الأكبر ، وعلي الأصغر ، وجعفر الذي مات في حياة أبيه ، وجميع الذكور قتلوا في واقعة الطف باستثناء زين العابدين وهو العقب من الذكور ، فجميع الحسينيون على وجه الأرض من أبن واحد وهو علي بن الحسين ([2]).

---

(1) من هو الحسين ، مركز الإشعاع الاسلامي للدراسات والبحوث الاسلامية ISLAM4U.COM

(2) وكيبيديا الموسوعة الحرة ، الحسين بن علي ، UP.WIKIPEDIA,ORG,WIKI

من صفاته في واقعة كربلاء : برزت مجموعة من الصفات من أبي عبد الله الحسين عليه السلام هي: الشجاعة البدنية ، قوة القلب والشجاعة الروحية (المعنوية) الايمان الكامل بالله وبالنبي والاسلام ، الصبر والتحمل العجيبان والرضا والتسليم ، والمحافظة على التعادل وموازنة الحركة والمواقف ، وعدم بروز اي موقف متسرع لا من قبله ولا من قبل أصحابه، الكرم والنبل والسماحة والتضحية والفداء والإيثار .

المطلب الثاني : الخطاب الحسيني

عندما توجه الامام الحسين عليه السلام من مكة الى الكوفة في اليوم الثامن من ذي الحجة ومعهُ أهل بيته ، وقد سبقه ابن عمه مسلم بن عقيل الذي اخبره بإجماع الناس في الكوفة على بيعته والدفاع عنهُ، ويبدو إن الامور بدأت تتغير في الكوفة واتجاهات الناس أخذت تضعف نحو تأييد الامام عليه السلام وليس هي كما نقلها مسلم بن عقيل للإمام الحسين ، ([1]) . فالذين رحبوا بمقدم الحسين والدفاع عنهً هم الذين كتبوا الى يزيد يخبرونهُ بأن النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة ضعيف ولا قدرة لديه في مواجهة المواقف ويطالبون بعزله ، كما أخبره بأن الناس يجتمعون حول مسلم بن عقيل رسول الامام الحسين بن علي وفي نيتهم تولي الامام الحسين والياً عليهم ، لذلك طلبوا عزل النعمان وسرعان ما استجاب يزيد لهذا الطلب ووقع اختياره على عبيد الله بن زياد ليكون والياً على الكوفة الذي دخلها متنكراً وألقى خطبته المشهورة (بالبتراء (•) في مسجد الكوفة والتي توعد وهدد فيها كل من يخالف أمره حيث قال في مقدمتها : " يا أهل الكوفة ، اني والله لأحمل الشر بحمله ، وأحذوهُ بنعله ، وأجزيه بمثله ، واني لأرى أبصاراً طامعة واعناقاً متطاولة ، ورؤوساً قد أينعت وحان قطفها وإني لصاحبها وكأني أنظر الى الدماء يسن العمائم واللحى تترقرق .... الى آخر الخطبة ، حيث استعمل أساليب مختلفة لتغيير أفكار أهل الكوفة وصرفهم عن بيعة الامام الحسين بالتهديد حيناً وبالترغيب والخداع حيناً آخر ، حتى وصل بهم الحال حيث أصبحوا يقولون مالنا والدخول بين السلاطين .([2])

---

(1) السيد حسين آل بحر العلوم ، الثورة الحسينية ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، ج2 ،بيروت – لبنان ، بدون تاريخ ، ص250

(•) سميت بالخطبة البتراء لأن عبيد الله بن زياد لم يبتدئ بالحمدُ وذكر الله .

(2) د. عبد الكاظم محسن الياسري ، الخطاب الحسيني في معركة الطف _ دراسة لغوية وتحليل ، (بحث منشور) قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، ط1، كربلاء – العراق ، 2009 ، ص13 .

وقد دخل الامام وهو لا يعلم ما جرى في الكوفة حتى لقي هلال بن نافع ، وعمرو بن خالد فأخبراه بمقتل مسلم، وهاني وانقلاب الناس في هذه المدينة ، وقد أجابا حين سألهما عن حال الناس بقولهما : أما الأغنياء فقلوبهم مع بن زياد ، وأما باقي الناس فقلوبهم اليك ، وقيل أنهما " قلوبهم معك وسيوفهم عليك "([1]).

وحقيقة الأمر وقف الحسين عليه السلام متفكراً في هذه التحولات السريعة وفي انقلاب نوايا الناس وما الخطاب الذي يخاطبهم به ، وكيف يواجه هذه التحديات الخطيرة التي تواجه مسيرته ثم يتخذ قراره الحاسم بأن ما حدث هو تحول خطير في الكوفة وكل ما حصل فيها لا يمكن أن يثنيه عن مواجهة مسيرته واكمال ما بدأ به لأنهُ يسير الى مسير وعدهُ الله به ورسوله ، ويواصل رسالته التي خرج من اجلها وإكمال فصولها الى ان يصل الى المكان الموعود الى موضع يقال لهُ (ذو الحسم) ، وفي هذا الموقع يلتقي الامام الحسين عليه السلام بالحر بن يزيد الرياحي ومعهُ ألف فارس أرسلهم عبيد الله بن زياد لملاقاة الامام الحسين وتحدث معه الامام الحسين وبعدها أمر الحر بأن يسقى اصحاب الحسين الماء وعند الظهيرة أذن مؤذن الامام الحسين ثم صلى الامام بالطرفين ولما فرغ الامام من الصلاة اتكأ على سيفه والقى خطابه الاول في مرحلة السير ، وبعد أن حمد الله تبارك وتعالى ألقى خطاباً بأسلوب بسيط وسهل التعبير وواضح الدلالة حيث قال عليه السلام " أيها الناس إنها معذرة الى الله عز وجل وإليكم إني لم آتكم حتى اتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ، إن إقدم علينا فإنهُ ليس لدينا أمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى ، فإن كنتم على ذلك جئتكم وإن لم تعطوني ما أطمئن اليه من عهودكم ومواثيقكم اقدم مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم الى المكان الذي اقبلتُ منهُ اليكم ([2]).

وقد اوضح الامام الحسين في هذا الخطاب اسلوب الشرط وترك لهم اختيار أحد الامرين وهو " إن كنتم على ما ورد في كتبكم وعلى لسان رسلكم وأعطيتموني ما يثق به قلبي دخلت معكم ، وإن كرهتم قدومي وتغيرت أفكاركم أنصرف الى المكان الذي أقبلتُ منهُ " وكان الامام في كل مكان يأم الناس ويخاطبهم مبيناً في ذلك أهداف نهضته الى أن يصل الى مكان يقال لهُ " عذيب الهجانات " وفيه يلتقي الطرماح بن عدي ومعهُ رجال حيث يخبرونهُ بمقتل رسولهُ الى الكوفة قيس بن سهر الصيداوي الذي قبض عليه الحصين بن نمير وسلمهُ الى عبيد الله بن زياد ليضرب عنقهُ ، ويقف الامام ويسترجع كثيراً ويترحم على شهداء المسيرة

([3]) د . عبد الكاظم محسن الياسري ، نفس المصدر ، ص 73 .

([1]) د. عبد الكاظم محسن الياسري ، المصدر السابق ، ص 76.

الحسينية ، ثم يواصل مسيره فيجتاز الركب منطقة تسمى " أقساس مالك " ثم " الرهيمة " ويصل الى قصر بني مقاتل ويلتقي هناك بعبيد الله بن الحر الجعفي وهو من فرسان العرب ويدعوه الامام الى نصرته فلم يستجب الى دعوته وعرض عليه أن يعطيه فرسهُ وهي من الجياد الفريدة ، فيرد عليه الامام الحسين عليه السلام " إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا بفرسك " ([1]).

وهنا لا بد من وقفه مع المفكر الدانماركي kierke geared (1813 1855) حيث يقول لا يستطيع المجتمع المؤلف من فئات مختلفة أن يقرر بالإجماع معاني الخلق والحياة والأنسان فإنهُ غير قادر كذلك على أن يقرر بالأجماع وباتفاق الآراء ما يجب أن نعرفه عن الذنب ، واليأس ، والخلاص ، والوحدة الموحشة المريرة ، فلا يقدم اللجوء الى الذات عن هذه الخطوط عوناً حقيقياً ، ما عدا ذلك الشخص الذي يغمر في نفسه ، في ذاته بأسلوب لا يحطم ولا يقضي على عناصر المعنى الشخصي والقيمة يكون في مركز يخوله أن يجد أجوبه عن اسئلة تتضمن المعنى (•).

المطلب الثالث: اليوتوبيا

يسود الفهم والاعتقاد بأن أصل كلمة يوتوبيا يعود الى الفيلسوف الإغريقي أفلاطون ، ولكن ما هو مؤكد وثابت إن الكاتب توماس مور هو أول من أستخدم مصطلح يوتوبيا الذي ورد عام 1515 م في تسمية روايته المتعلقة بالجزيرة الخيالية ، وتشير دلالة مصطلح يوتوبيا utopia الى العديد من المفاهيم والمعاني المتعلقة بأحكام القيمة المطلقة والنسبية ، ويشير المعنى العام الى اليوتوبيا باعتبارها الحالة الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها الوضع السائد حالياً ([2]).

ارتبطت اليوتوبيا بحركة الفكر الانساني ، وتعتبر اليوتوبيا النموذج الأمثل الذي تسعى الانسانية الى تحقيقه ، حيث حاول الكثير من الفلاسفة والمفكرين على مر التاريخ أن يبنوا يوتوبيات فلسفية وفكرية ودينية واقتصادية ،ويمكن تقسيم هذه اليوتوبيات الى :

---

(1) د . عبد الحسين كاظم الياسري ، تأملات مهمة حول لقاء الامام الحسين عليه السلام مع الحر بن يزيد الرياحي ، العتبة الحسينية المقدسة ، 2014/11/4 . موقع على الانترنيت .

(•) KIERKE GEAReD (1813– 1855) مفكر ديني دانماركي – يؤيد المتشائمون الاجتماعيون ، كان فردياً وعاطفياً وشخصية مريضة متألمة تشكو من كبت شديد .

(1) أنتوني غدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور فايز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط4، 2005 ،ص 251

– يوتوبيا الفلسفة : تقوم على الافتراض الفلسفي الذي يستند على حركة الذهن التجريبية في بناء النماذج الأفتراضية ، ومن ابرزها : جمهورية افلاطون ، دولة المدينة لأرسطو ، والمدينة الفاضلة للفارابي .

– يوتوبيا الدين : تقوم على الربط بين الوسيلة والغاية ، بحيث تكون طاعة الدين هي الوسيلة الالهية الخالية ، وتمثل فكرة (الجنة) اليوتوبيا الدينية التي يسعى الوصول اليها كل المتدينين في هذا العالم .

– اليوتوبيا الأيديولوجية : تقوم على الربط بين الوسيلة والغاية ولكن بشكل مادي ومن ابرزها (المجتمع الشيوعي) الذي بشرت به الأيديولوجية الليبرالية . وعموماً فإن اليوتوبيات ليس حكراً على اليهودية ،أو المسيحية ،أو الإسلام ، فهناك أكثر من (100) كتاب مقدس في العالم ، وكل كتاب من هذه الكتب يبشر اتباعه (بجنة خاصة) ويخبرهم بين حياة الشقاء وحياة النعيم ، ومن هذه الكتب ، كتاب الفيدا الهندوسي ، والأفيستا الزرادشتي ، وغيرها الكثير ([1]).

المطلب الرابع: المجتمع المتخيل

حلم الانسان بعالم يسوده العدل والمساواة وتتركز فيه قيم الخير والحرية وتعطي فيه الحقوق لأصحابها ، وتنقشع فيه سحابة الظلم وتزول منهُ بعض من اشكال الحيف ، هو حلم مشروع وتجربة يتوقف اليها كل كائن بشري ، مثال تطمح اليه كل طبقة ناشئة ، ولكن قد يتحول الى نوع من الخيال العلمي ويصطدم بواقع مرير وبوضع تاريخي صعب .

التخيل : هو الابتكار ، وذلك بالانفصال عن الواقعي سواء بالزعم أو بالكذب ، أو بالقص والحكاية الروائية عنهُ ([2]).

وأما العلاقة بين المتخيل والرمزي هي علاقة غامضة وملتبسة وتتراوح بين السيطرة والتقاطع ([3]).

إذن ينبغي للمتخيل أن يستخدم الرمزي من أجل التعبير عن وجوده ، كما إن الرمزية تفترض القدرة التخيلية ([4]). ويتجلى مفهوم المتخيل لدى نجيب محفوظ أنهُ شكل قاعدة ثورية واستعارية رمزية وتخيلية ، حيث

---

(1) كارل منهايم ، الأيديولوجيا واليوتوبيا ، ترجمة عبد الجليل الطاهر ، مطبعة الأرشاد ، بغداد ، 1968، ص 362 وما بعدها

(2)كارل منهايم ، المصدر نفسه ، ص 189.

(3) ويكيبديا – الموسوعة الحرة ، أهل البيت .WIKIPEDIA AHLALBET,ARG,COM .

(1) كارل منهايم ، المصدر السابق ،ص 193 .

ضمت بين صفوفها معان عدة تؤمن بالتأويل ، والتحويل ، منحت للمتخيل تماسكه الداخلي الذي أهلهُ للسيطرة والتوظيف والتوليد ([1]).

المبحث الثالث: مفهوم التسامح في نظرية الخطاب الحسيني

قال أمير المؤمنين عليه السلام " من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيرهُ ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبهُ بلسانهِ، ومُعلم نفسهُ ومؤدبها ، أحق بالأجلال من معلم الناس ومؤدبهم " ([2]).

وهكذا حين تتعارض الأمزجة والأذواق ، وتشتبك الأحاسيس بين الأقبال والإدبار ، والانشراح والنفرة يكون العفو والتسامح لا بد منهُ ، لأن طريق الحياة فيه مضايق لا يفسح فيها إلا الأخلاق الطيبة ومنها التسامح والصبر والعفو وكظم الغيظ ، وفي آفاق الحياة رياح غبراء لا يقشعها إلا الأخلاق الفاضلة ومنها السماحة والتسامح ، والعفو ، والصفح الجميل .

إننا نعيش في عصر تندمج فيه جميع البلدان في محيط متعدد الثقافات نتيجة للتداخل المتسارع للاقتصاديات ، وظهور وسائل الاتصال الحديثة ، وثورة المعلومات ، وفي الوقت الذي يخيل الينا إن العالم يتجه نحو التقارب ، تبرز بوضوح العديد من التناقضات والاختلافات القومية ، والأثنية ، والدينية ، والعنصرية و ولا تقتصر اهمية التسامح على المستوى العالمي فحسب ، بل تمتد كذلك لتشمل العلاقات بين الجماعات الثقافية المختلفة داخل الدولة الواحدة ([3]). وعلى هذا المستوى القومي لن يستطيع المجتمع تحقيق تعايش وممارسة ديمقراطية سليمة وتفاعل خصب مع العالم إلا إذا سادته قيم التسامح ، لذلك يضع المجتمع العالمي في اجندته الاجتماعية قيوداً على تجاهل قيم التسامح على المستوى الوطني ، لأن التسامح على المستوى المحلي والقومي هي التي تتيح أمكانيات التعايش الفعال على المستوى العالي ([4]).

---

(2) زهير الخويلدي ، دلالات المتخيل الاجتماعي عند كاستورياديس ، موقع على الانترنيت ، رواق الفلسفة ، الأربعاء 10 فبراير 2010 .

(3) جعفر البياتي ، العفو ، مجمع البحوث الاسلامية ، ط1، مشهد – ايران ، 1427هـ 1385ش، ص15 ، كذلك ينظر نهج البلاغة ، الحكمة 73.

(4) أشرف عبد الوهاب ، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، ط1 ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 2005 ، ص 93.

2- Giddens A , sociology (fourth edition, Cambridge , polity press, 2002,p,47.

لذلك كانت نظرية الخطاب الحسيني تحمل أهدافاً قيمة في طياتها كل أنواع ثقافة التسامح وفهم الآخر ، وهي المدرسة التربوية الكبرى ، والجامعة الاخلاقية العظمى للخلق الكريم ، وكريم الاخلاق ، وكل من أراد الاتصاف بالصفات الحسنة والسجايا الطيبة التي يحبها الله تعالى ويندب اليها الاسلام ، ويحكم بحسنها العقل ، مما تؤدي الى طيب الحياة والفوز بالنجاة ، وتثمر شرف النفس ، والضمير النفيس ، وتوفر خير الدنيا وسعادة الآخرة .

الخطاب الحسيني كان دعوة لضم أهل الفرقة ، أي جمع المنفصلين سواء بالأبدان ، أو القلوب ، والمستظهر هنا هم المتفرقون بقلوبهم ، فمن حلية الصالحين وزينة المتقين التأليف بين أرباب القلوب المتناظرة وايقاع المحبة بين الانفس المتباغضة وجعل القوم مجتمعين متحابين ([1]).

ويفترض للتسامح الاجتماعي والثقافي إن هناك تنوعاً وتعدداً في المجتمع أياً كانت طبيعته ([2]). إن هذا التنوع تتم ترجمته في صور وآراء وأفكار وممارسات مختلفة ، ويكمن أساس هذه الفكرة في ارتباط النشأة التاريخية للتسامح بتعدد الفرق والطوائف الدينية والصراع فيما بينهم ، ومحاولة أيجاد طريقة بمقتضاها تتمكن هذه الطوائف والشيع المختلفة والمتناحرة من التعايش معاً .

ويستند مبدأ التسامح الى أصلين أساسيين : الأول معرفي ، ويرتبط بالتسليم بنسبة المعرفة ، والتسليم بأنهُ ما من أحد يحتكرها أو يمتلكاها كاملة ، وانطلاقاً من هذا التسليم يصبح حق الاختلاف بين الناس مقبولاً كونهُ لازمة تحددها طبيعة العيش وتنوع المعارف وتداخلها وتعددها ، واختلاف وسائلها وادواتها التي تتباين بتباين الحقيقة التي لا يحتكرها ، ولا يعرفها طرف إلا بحدود النسبية القابلة للتغير والتطور ، وهذه النسبية تقرن المعرفة باحترام العقل الذي لا يعرف لنفسه حداً ، أو حقيقة نهائية في اكتشاف العالم ، واحترام العلم الذي لا يكف عن التقدم ، وتأكيد نسبيته المعرفة العقلية في الوقت نفسه ([3]).

---

(3) السيد علي الحسيني الصدر ، أخلاق أهل البيت ، ط1، منشورات دليل ، قم – ايران ، 1432هـ ق – 1389ش ، ص 137 ؟.

4- Giddiens A , p . 240

(1) Voget,w , paul, tolerance and Education ; learning with diversity and difference , sage publication , london , 1997 ,p,1 .

وهناك بعض المفاهيم ذات الصلة بمفهوم التسامح الذي يتداخل معها ، والاختلاف حول معنى التسامح يمكن أن يفهم باعتباره صراعاً بين هذه المفاهيم ، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد عدة مفاهيم للتسامح يمكن أن توجد في أي مجتمع منها :

التساهل : pirmission يذكر الريحاني ، واسحاق اديب أن التسامح هو التساهل ، أي الاعتقاد بوجود ما يخالفك ، وأما التسامح الديني ، فيعني أجازة العقائد والطقوس الدينية التي تخالف العقائد والطقوس المألوفة ، وهو الاعتبار والاحترام الواجب اظهارهما نحو المذاهب التي تمسك بها الآخرون ، حتى ولو كانت هذه المذاهب مناقضة لمذاهبنا ، والتساهل ينجم عن التعصب وهاتان الكلمتان ضدان ، وهما يمثلان ثنائية متقابلة كالخير والشر ، والعدل والظلم ، فلولا أحدهما ما كان للآخر ، فالتعصب يولد التساهل ، والتساهل يولد السلام ، والسلام يولد النجاح ، والنجاح يولد السعادة ([1]). علاوةً عن مفاهيم اخرى كثيرة منها التعايش toexistence ، والسلام الاجتماعي ، وقبول الآخر the other reness ، والاحترام والتقبل وغيرها الكثير .

لذا نستطيع القول بأن التنوع يحتاج الى وجود قدر وافر من التسامح بين الفئات المختلفة ، أي من القدرة على قبول الآخر برغم الاختلاف ، وليس هنا التسامح الذي ينطوي على ضعف واستصغار الآخر ، الذي يعد غير كافي لقيام علاقات تقوم على التكافؤ والمساواة بين الشعوب والجماعات ، فالآخر العرقي أو الثقافي ، أو الاجتماعي ليس طرفاً ناقص الاهلية أو النضج لكي تتسامح معهُ ، ومثل هذا النوع يقوم على ادعاء ضمني بالتفوق على الآخر .

من هذا يمكن القول بأن الخطاب الحسيني لبني أمية كان خطاباً يحمل الأهداف التي جاء بها جدهُ المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، فالحسين عليه السلام لم يخرج على سلطان زمانه أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً أنما خرج لطلب الإصلاح في دين جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبالتالي ليس من المنطق أن يقال الامام الحسين بثلة من المؤمنين غير متكافئة في عدتها وعددها وغير مهيئه مطلقاً للحرب ، لذلك فالخطاب صريح وواضح يدعو الى وعي الأمة من غفلتها في أعمالها واقوالها ويذكر بالقرآن من يخاف وعيده . بمعنى إن الخطاب الحسيني كان رحمة وسراج يضيء الطريق ورحمة للعالمين ، وهو رحمة عامة لا تخص بفرقة او جماعة وإنما هي شاملة لكل العالمين ، ومما لاشك فيه آنهُ حينما كانت

(2) اشرف عبد الوهاب ، مصدر سبق ذكره ، ص8 .

الرحمة فلا كراهية ولا أكراه ، بينما الرفق والعدل والعطف والرأفة والاحسان من لوازم الرحمة ، فلماذا يتغافل عنها أولئك الذين يختصرون الاسلام بالقتل والموت وينصبون أنفسهم ناطقين بإسم الله في الأرض من دون أن يتدبروا آيات الله ويفقهوا كتابه كتاب المحبة والرحمة ([1]).

المبحث الرابع : هوية الانتماء وتقبل الآخر

اليوم ونحن نكابد جراج الوطنية أثر موجات الكوارث الداخلية من تقاتل وارهاب تشهدهُ الأرض العراقية على مدى سنين ، وموجات خارجية شهدت تآمر المنطقة وتصدير قوافل من الإرهابيين عبر الحدود لحماية طائفة على حساب اخرى ، هذه الموجات التي حلت بإنساننا ووطننا العراقي بأمس الحاجة لتحديد هذا الانتماء وترسيم مساحات هذا التجذر للهوية الوطنية على أرضية عقولنا ونفوسنا وفعلنا الحضاري ، فالهوية العنوان الوجودي للأنا الوطنية لأن وعي الانسان والانتماء والتجذر لا يتم إلا بالهوية ووضوحها وتماسكها وفاعليتها تستنتج صراعاً وفعلاً إنسانياً يستعصي على التشبث أو المصادرة ،

إن من أهم وأخطر الأضرار التي أصابت كينونتنا العراقية طيلة العقود الثمانية الماضية إنما تمثلت بالأضرار التي أصابت هويتنا سواءً في الوعي أو الاستحقاق أو الفاعلية ، فنحر الانسان وتدمير المجتمع واستلاب الوطن وأما هي إلا مظاهر الخلل البنيوي والتطبيقي لوعي واستحقاق وفعالية الهوية الوطنية ([2]). فالهوية هي وجه الذات وكمنون الأنا المشكل لوجودك ووجودي ووجودنا وإن وعيها وتمكنها وفعلها هو الشخصية الخارجية المعاكسة لهذا الوجود الذاتي ([3]). إن الفعل التاريخي المتراص والمتواصل انتج الانتماء والتجذر التاريخي المتميز لصورة الصيرورة العراقية ، فكيف لبعض العابثين والفاشلين أن يمحوا هوية الانتماء الذي هو عصارة جهودنا التاريخي وفيه كل فعل وحركة اندكاكنا بالأرض ونتاجنا لبواكير الحضارة من خلال سلسلة من التضحيات والنشاطات الانسانية المتواصلة من الحقب السومرية والأكدية مروراً بالآشوريين والكلدانيين والعرب والاسلام الى يومنا هذا .

---

(1) د. عبد الجبار الرفاعي وآخرون ، التسامح ليس منه او هبة ، دار الهادي ، ط1 ، بيروت ، 2006 ، ص12 .

(2) حسين درويش العادلي ، المواطنة ، دار المرتضى ، ط2 ، بغداد – العراق ، 2006 ، ص102 .

(3) حسين درويش العادلي ، ص103 .

لذلك فعصر الانتماء وتجذر الهوية طويلاً ، ولا يقترن بولادة العراق الحديث عام 1921 م على يد الإنكليز على أساس اننا كيان مصطنع لا جذور وانتماء وتمييز لهُ .... وهل إن اسقاط بابل ، ونينوى ، وبغداد ، والكوفة ، والبصرة قديماً .....واسقاط نينوى ، والأنبار ، وصلاح الدين لمدة من الزمن ..... هو اسقاط محور التاريخ ... أم هو في عمته اسقاط هويه ومحو كينونة فعّلت ، وما يزالون الاستمرار في فعلها محاولين وأد تجّذر الهوية من خلال قطع انتماء الوجود العراقي وانقطاعه التاريخي الضارب في اعماق التاريخ والادعاء والقول بحداثته وتلفيقه وشكلهُ المقترن بإدارة أصوات خارجية وداخليه وهو مسخ لهويتنا وإنساننا ([1]).

ولكي نحافظ على صدق الانتماء وعمق تجذر الهوية علينا أن نؤمن بأن الآخر حاجة كما تقتضي حكمة الخلق في الانسان كي يسير باختياره نحو الخلود الأبدي في رحمة الاهيه غير متناهية تتناسب مع كرم الله تبارك وتعالى .

إن الاختلاف في الرؤيا لا يمنع من تقبل الآخر وفتح الحوار معهُ واحترام حقوقه الإنسانية ، ومهما بلغت درجة الاختلاف في الرأي ، وحتى لو صدرت اتهامات واصوات من هنا وهناك من المستضعفين ، بل لا يصلح قطع الحوار حتى لو دقت اجراس الحرب وقُرعت طبولها ، كما حصل في مدرسة الشهادة في كربلاء ، حيث بقي الخطاب الحسيني فاعلاً متحاوراً الى آخر لحظات المعركة بل وحتى في أوقاتها ، فإن الامام الحسين عليه السلام كان يرى الموعظة واجبة عليه لهؤلاء الذين قدموا الى قتله وسبي عياله ، حين قال عليه السلام في خطبته الاولى " ياأيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يحق لكم عليَ، وحتى أعتذر اليكم من مقدمي عليكم ، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ([2]).

إن هذا الكلام ليس عن ضعف ، بل عن حكمة وفيه من مظاهر الانسانية ما يعجز الكلام عن وصفه ، والقلم عن بيانه ، فيه بلاغة وحكم تصدر من القائد الملهم على قاتلهِ الجاهل المغرور العابد لأميره ، كيف ولا وهو ابن علي المرتضى القائد والمفكر والعالم في أغلب العلوم وهو مؤهل إلهياً وبالتالي فهو يمتلك قوة استثنائية فهو لا يكذب ولا مُكذب لأن علمهُ موروث من علم النبي ، وعلم النبي الذي هو من علم الله ، وهذا الموقف فيه مشهد انساني لا يتحمله الا نبي مرسل ، وفيه مشهد آخر ينعى الإنسانية ويدين بشريعة الغاب

(1) حسين درويش العادلي ، مصدر سبق ذكره ، ص 107 .

(2) الشيخ ياسين حسين عيسى العاملي ، أصول التعايش مع الآخر ، دار الهادي للطباعة ، ط2، 2008، ص90 .

، أما المشهد الأول ، سيد من أسياد الانسانية يعترف لقاتله بأنهُ له عليه حق انساني وهو اشادته وهدايته ووعظه ، والمشهد الثاني قوم يأسرون قائدهم وابن نبيهم ويبيحون له كل حرمة لأنهُ أراد انقاذهم من براثن جلادهم ، وآسر حريتهم ، فأراد افتراش قلبه لهم ولم شملهم ، ولكن أجابوه بفري أوداجه ورض أضلاعه بحوافر خيولهم وشتتوا شمله ... إنهُ العجب ([1]).

من هذه الثقافة الحسينية في طبيعة التعامل مع الآخر من دون التنازل عن كينونتي وإنسانيتي من الممكن أن أتعايش معه ، قال الامام علي عليه السلام " الناس أعداء ما جهلوا " حيث المراد من فهم الآخر هو الأخذ بعين الاعتبار مشاعره ومزاياه الغالبة في شخصيته ، فللطفل وضعه الخاص به الذي يختلف عما عليه الكبير ، وطبائع المرأة وأحاسيسها تختلف عن طبائع الرجل . وتنطبق حاجة التعايش لفهم الآخر على الجماعة ، لأن الجماعة تختلف في عاداتها وتقاليدها ، والمتعارف فيما بينها عن جماعة اخرى ، فإن ثقافة المدينة تختلف عن ثقافة القرية ، لذلك فإن الفرد في عيشه المشترك يتنازل في كثير من خصوصيته وبالتدريج تصبح عادات المجتمع هي عاداته ، أما للاضطرار الى ذلك وأما لإعجابه وارتياحه .

ومن صور التعايش وتقبل الآخر والدفاع عنه في وقت المحن هو البعد الفكري والوطني الذي يترجم الدور البطولي لمقاتلي الحشد الشعبي الذين لبوا نداء المرجعية ودافعوا عن العراق ، واخترقوا بل مزقوا الحدود الواهمة التي رسمها بعض المتخاذلين والتابعين لمخططات اقليمية ودول جوار لتزييف اللحمة العراقية وقتل الروح الوطنية من خلال الفتنة الطائفية .

لقد تكونت منظومة الحشد الشعبي بناءً على أمر من المرجعية الدينية العليا في العراق بفتوى الجهاد الكفائي ، وهذه المنظومة الجماهيرية تضم عناصر أغلبها مدربة على القتال ونزيهة يقتلون بروح العقيدة ويؤمنون بالروح الجهادية طالبين الشهادة أو النصر على جماعات قذرة تعيش لغير زمانها لا تتعايش مع الآخر ، تحكمهم لغة الكهوف ويعيشون على دماء البشر ، ويؤازرهم ، ويساندهم ، ويأويهم بعض المتآمرين من العراقيين مؤيدين طوعاً أو كرهاً ، وبهذا التصور استطاع المقاتلين أن يحافظوا على هوية الانتماء وأن يتقبلوا الآخر ويحاوروه رغم كونهم كانوا ضيوفاً ثقلاء على بعض أصحاب النفوس المريضة رغم التضحيات التي قدموها ، ويفندوا كل الأكاذيب والافتراءات وغيروا كل الصور التي صورها وغرسها العدو في أذهان الآخرين

(1) نهج البلاغة ، ص702 .

من هنا وهناك . لذلك فإن تعدد الآراء والاختلافات فيما بيننا هي من علامات السلامــة في المجتمع ، ومن علامات النجاح مادام الأمر محكوم للضوابط العقلية والشرعية وهذا مما يولد لنا اكتشاف الرأي الخفي الذي لم يكن بالحسبان ، ومعرفة وجه القبح في بعض الاحتمالات بسبب الكشف عليه من قبل بعض الآراء .

المبحث الخامس : الخطاب الحسيني واستقلال الشخصية الاسلامية وتبلورها .

إن شهادة الامام الحسين عليه السلام لم تكن قصة أو واقعة كارثية انتهت بهدر دم شخصية من الشخصيات الاجتماعية ارتكبها عدد من الظالمين والجناة ، ولو كانت هي كذلك ، ربما ستحتل واقعة يسجلها التاريخ فحسب وتنتهي .

إن الخطاب الحسيني والنهضة التي جاء بها واستشهد من أجلها أعطت للإسلام روحاً جديداً ، إنها تعبير عن حركة الدماء وغليانها في الأبدان وخروج الأجسام في حالة والكسل الى عالم آخر مناهض تماماً عالم النشاط والفعالية وعدم السكوت على الظلم والقصاص على الظالمين ، والحقيقة هناك عمليات كثيرة تستنزف فيها الدماء ولكن لا تحمل في أبعادها إلا بعداً واحداً هو بُعد النزيف الدموي ويخلف أثرهُ الرعب والخوف في نفوس الناس وإضفاء المزيد من الوحشية عليهم ، وخنق الأنفاس في الصدور وسلب للقوة ، في حين إن هناك عمليات استشهاد في الدنيا تخلف معها وتولد رونقاً من الضياء والصفاء للمجتمع . وهذا ما حصل بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام ، حيث انبعث الاسلام برونق جديد واعادت صياغة الشخصية للمجتمع الاسلامي ، لأن السمات الدنيا في ظل انعدام الأمن تكون متهجمة لأهلها ، عابسة في وجه طالبها ، ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف ودثارها السيف ([1]).

لذلك بتقديرنا المتواضع إن الخطاب الحسيني كان خطاباً يوتوبياً في عدالته يسمو بقيمة الحرب في الحياة والمجتمع ويجعله هدفاً وغاية للرسالة الاسلامية ويريد به أن ينقذ الناس من النار الى دار القرار ويلحقهم من العبودية بخيار الأحرار ، وكان الإمام الحسين عليه السلام في خطبه للمجتمع الكوفي كان يحذرهم من ذوبان شخصياتهم في شخصية الحاكم ، أو الآخر ، ويحثهم على امتلاك الشخصية المستقلة ، وفي هذا المجال

(1) د. غسان السعد ، حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام ، رؤية علمية ، العتبة الحسينية المقدسة ، ط2، النجف الأشرف ، 2010،ص 65.

يذكر العلامة الدكتور مرتضى مطهري " إن الألمان قد اعترفوا بخسارة كل شيء في الحرب العالمية الثانية ما عدا شيء واحد تمسكوا به هو شخصيتهم المستقلة ، ولما كنا والقول للألمان لم نفقد هذه الشخصية فأننا استطعنا الحصول على كل شيء مرة واحدة ، وقد صدقوا بالفعل ، ولكن لو حصل إن أمة ما ظلت تمتلك على كل شيء وخسرت شخصيتها فإنها لن تستطيع الحفاظ على كل شيء مما تمتلك وسيكون مصيرها الذوبان في الأمم الاخرى شاءت ذلك أم أبت ([1]). كذلك الحال بالنسبة للهنود واليابانيين لم يستسلموا للعادات واللغات والحركات الأجنبية بقدر ما نحن نستسلم لها ، وهذا (نهرو) الشخصية السياسية الكبيرة كان يجول العالم بلباسه الهندي إيماناً منهُ بأنـهُ هندي ولا يمكن لطول اللباس أو قصـره أو لون البشرة أن يؤثر في شخصيـة الانسان وهو تعلم الكثير من مدرسة الامام الحسين عليه السلام .

المبحث السادس : الخطاب الحسيني وأولوية عوامل النهضـــة وفاعليتها

يذكر الدكتور مرتضى مطهري بخصوص قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ، أو يسلطن الله عليكم شراركم " فيدعوا خياركم فلا يُستجاب لهم " رئياً للغزالي وهو رجل درويش (صوفي) لا يبرز اسمه في بحوث المسائل الاجتماعية وهو يرى غير ما يراه المفسرين الآخرين ، إذ يقول في تفسيره اللطيف لهذه الرواية إن معنى الحديث " فيدعوا غياركم فلا يُستجاب لهم ليس إنهم كلما يدعون الله لا يستجيب لهم ، بل يفيد مع الرواية الشريفة هنا أنهُ عندما ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأنهم سيصبحون منحطين ومرعوبين وأذلاء وخنوعين الى درجة إنهم عندما يذهبون ليستجدوا الرحمة من الظالمين بالوقوف على اعتابهم ، فإن هؤلاء الظلمة سوف لن يعيرونهم أي اهتمام ، وهذا يعني إن غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سوف يفقدكم عزتكم واحترام الغير لكم ([2]). وهذا ينسجم ويتناسب مع المبادئ المؤكدة التي على ضوئها تحرك الامام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة الى

---

[1] د . مرتضى مطهري ، الملحمة الحسنية – محاضرات ومجالس ودروس .... ، دار المرتضى ، لبنان – بيروت ، 2009 ، ص 116.

(1) د. مرتضى مطهري ، مصدر سبق ذكره ، ص278.

كربلاء حتى يبين للأمة مبادئ تحركه والتي استندت الى ثلاث عوامل كما يراها الشهيد مرتضى مطهري .([1])

العامل الاول : نظراً لدعوة أهل الكوفة وارضية الانتصار والتأييد الذي وصل الى (50%) أو أقل بقليل ومن خلال الرسائل التي تصل الى المدينة والتي يطلبون فيها من الحسين بن علي عليهما السلام بتوليه أميراً عليهم ، وكل تلك العوامل دفعت الامام عليه السلام بالتوجه الى كربلاء .

العامل الثاني : نظراً لأن السلطة طالبت الامام الحسين عليه السلام بالبيعة فواجهها الامام بالرفض والتحرك أي أنهُ لو كان سبب التحرك هذا وحده فأنه يمكن القول بأنهُ عدم مطالبة حكومة ذلك العصر بالبيعة من الحسين فإن ذلك يعني بأن الامام الحسين لم يكن في وراء الاصطدام بتلك الحكومة ، وبالتالي فإن النظر الى حركة الامام من هذا العامل وحدهُ كان يكفي عدم مطالبة الامام بالبيعة حتى ينتفي التحرك الحسيني ويهدأ بال الحسين ولا يحصل كل ما حصل في التاريخ .

العامل الثالث : إن الامام الحسين عليه السلام كان يستند الى حديث جدهُ المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله " من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل لعباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ... وكان الحسين في تحركه المناهض ليزيد مستنداً لقول المصطفى الذي لا لبس فيه ، وهو في ذلك رجل ثائر ، ورجل ثورة ايجابي فاعل في الأحداث .

ومن الملفت للانتباه إن هذه العوامل الثلاثة لكل منها وظائف ومسؤوليات تعلو على العامل الآخر ، فلو اخذنا بنظر الاعتبار دعوة أهل الكوفة لقدوم الحسين عليه السلام فقد رأينا إن قيمة تأثيره محدودة بحدود معينة ، بينما لو نظرنا الى العامل الثاني وهو امتناع الامام الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد لرأينا أن قيمة الأثر عند الامام أكبر وأعظم من تأثير العامل الأول ، وإذا ما اخذنا عامل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعين الاعتبار لوجدنا إن تأثيرهُ أكبر وأهم بعشرات المرات عن العاملين السابقين .

(2) د . مرتضى مطهري ، نفس المصدر ، ص 292.

المبحث السابع : النتائج والتوصيات

المطلب الاول : النتائج

كانت النهضة الحسينية والخطاب الذي خاطب من خلاله الإمام الحسين المجتمع الكوفي أحاطت بهالة عظيمة وشعور بالتقديس وأصبحت معياراً بسائر الحركات الاخرى كونها حركة ما فوق المادة والطبيعة ، لذلك كان الناس ينظرون اليها نظرة احترام وتقدير عالية ، ومن خلال الدراسة التحليلية للخطاب الحسيني للمجتمع المتخيل وهو المجتمع الكوفي نخرج بعدد من النتائج :

أولاً : بني الخطاب الحسيني على أساس وجود أصل في الإسلام يتطلب منهُ عدم السكوت مقابل الظلم وانتشار الفساد وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثانياً : أكثر من ثمانية عشر ألف كتاب أرسلت من أهل الكوفة للإمام الحسين ومبايعتهم لسفيره مسلم بن عقيل وتشوقهم لقدوم الأمام وهذا يعني إن مدينة الكوفة كانت ذات الثقل السياسي والفكري والتجاري مهيأة لمناصرة وموازرة ومبايعة الأمام الحسين عليه السلام .

ثالثاً : إن مبايعة الحسين عليه السلام الى يزيد تعني إطفاء الشرعية على حكم يزيد الذي كان يساوي المصادقة على القضاء على الإسلام وبالتالي فإن الخطر موجهة الى الاسلام وليس لشخص الحسين .

رابعاً : أفرز الخطاب الحسيني الذي خاطب به المستضعفين والمحرومين في مجتمع الكوفة وغيرهم أفرز مجموعة التساؤلات فيما إذا كان الدين المحمدي قوة أم ضعفاً ، قيداً أم حرية ، أفيوناً للشعوب أم قوة دافعة لها

خامساً : أشارت الدراسات والبحوث حول الانتفاضة الحسينية إن الأمام الحسين عليه السلام كان يعرف بنتائج عمله ، وكان من دوافع انتفاضته عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان يمارس منطق الثورة ومنطق الشهيد ، وصاحب مشروع رسالة أراد أن يكتبها بحبر لا يجف أبداً وهو الدم . وتأكيداً لذاك ما ذكرهُ أبن الأثير في كتابه الكامل الجزء الثالث الذي نقله الرياشي حيث يقول الأمام الحسين عليه السلام " إن هؤلاء خانوني وهذه كتب أهل الكوفة وهم قاتلي ، وإذا فعلوا ذلك ولم يدعوا الله محرماً إلا انتهكوه بعث الله

اليهم من يقتلهم حتى يكونوا أذل من فرار المرأة ([1]). كما قال لعمر بن سعد مخاطباً " والله إن ملك الري لن يدوم لك ، وإني لأرى فتيان الكوفة يروم الحجارة على رأسك كما يروم ثمار الشجرة بها "

سادساً : إن دعوة أهل الكوفة تأتي كحجة تاريخية على الامام الحسين كون الكوفة كانت بمثابة معسكراً للعالم الاسلامي والكتب التي وجهها اشراف الكوفة وزعمائها كانت كتباً موثوقة لا غبار عليها ، وكانت تنتهي هذه الرسائل والكتب بعد شرح حال أهلها وشكواهم من الظلم والفساد وعلى لسان اشراف أهل الكوفة وزعمائها كانت تختم هذه الرسائل والكتب بعبارة (إنهُ ليس علينا أمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق) ولذلك يكون الامام الحسين عليه السلام في هذا السياق يكون وضعه كوضع ابيه علي عليه السلام بعد مقتل عثمان حيث اعتبر اجتماع الأمة على مبايعته إتماماً للحجة عليه بالرغم من عدم رغبته الباطنية في تسلم امور الخلافة من حيث إنهُ يرى المستقبل غامضاً .

سابعاً : إن الجوانب الأيديولوجية والسيكولوجية للخطاب الحسيني قد تغيرت بعد يأس الامام عليه السلام من مناصرة الكوفيين له ، وبعد أن أطلع على اوضاع الكوفة عن قرب وعلم باستشهاد سفيره مسلم بن عقيل عليهما السلام ، وقيس بن مسهر ، وعبد الله بن يقطر وغيرهم الكثير أخذ يردد الآية الكريمة " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (الأحزاب : 23) ، حيث تحول الخطاب الحسيني الى خطاب الحماسة وشد العزم وخاصةً بعد أن واجه جيش الحر بن يزيد الرياحي وقادته

ثامناً : إن حسن الظن والثقة وتقدير الموقف لدى الامام الحسين عليه السلام بأهل الكوفة كان يثوبه الحذر مقابل ذلك كانت المواقف لدى الكوفيين سليمة في باديء الأمر ، لكن تغير الأوضاع الفجائية هناك والتي لم يكن بالإمكان التنبؤ بها من خلال القنوات العادية والسبل الطبيعية كان هو السبب في وقوع الهزيمة ، حيث سبب خطأ رماة الجبل تلك الهزيمة المعروفة ، وحتى الامام عليه السلام في رده على الفرزدق كان يقول " إننا نشكر الله إن جاءت النتائج وفق مرادنا ، ولكن وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعدَ (يعتد)من كان الحق نيته والتقوى سريرته ، وايضاً مقولته " إن لك درجةً عند الله لن تنالها إلا بالشهادة " علاوة على ذلك فإن الامام ومن خلال البعد الآخر في شخصيته وهو البعد المعنوي للإمامة ، أن يكون عارفاً بأنهُ سيحل بكربلاء في النهاية وإنهُ سيستشهد هناك .

---

(1) د. مرتضى مطهري ، مصدر سابق ، ص619 .

إن مقتل الحسين كان صرخة مدوية تقضي مضاجع بني أمية وربما قضت عليهم في النهاية ، حيث يعتقد المستشرق الألماني ماريين إن الأمام الحسين أراد بخروجه النصر الآجل الذي يأتي بعد الموت ، فالحسين قد أدرك صعوبة النصر العاجل في حياته فأثر أن يستشهد لكي ينال النصر بعد وفاته ([1]). وبذلك فقد كان مقتل الامام الحسين من اقوى العوامل التي قوضت دعائم الدولة الأموية في الشرق .

المطلب الثاني : التوصيات

انطلاق من كون البحث قد اهتم من خلال مفردات مواضيعه بأهمية الخطاب والتحاور مع الآخر وافتراض إن المتحاور يمتلك ثقافة الحوار بغض النظر عن جنسيته ولونه وقوميته وطائفته كون العصر يشهد اندماج جميع البلدان في محيط متعدد الثقافات نتيجة للتداخل المتسارع للاقتصاديات وظهور وسائل الاتصال الحديثة وثورة المعلومات وفي الوقت الذي يخيل الينا فيه إن العالم يتجه نحو التقارب تبرز الينا حزمة من التناقضات والاختلافات القومية والأثنية والطائفية والدينية ، وهذه التناقضات تمتد لتشمل العلاقات بين

الجماعات الثقافية المختلفة داخل الدولة الواحدة ، ولكي يستطيع تحقيق تعايش وممارسة ديمقراطية سليمة وتفاعل خصب عليه أن يشيع قيم التسامح على المستوى المحلي والوطني .

لذلك يتقدم الباحث ببعض التوصيات التي تتحرر فيها ثقافة التسامح وفهم الآخر ، وهي واردة ومسموعة ومقروءة وليس انتاجاً فكرياً ما بعدهُ انتاج ولكن طبيعة المرحلة التي يمر بها بلدنا الحبيب تتطلب منا دائماً أن نواكب الحدث ونتصدى من خلال الدراسة والبحث لتحليل المواقف كل حسب تخصصه لعل ذلك يخدم في البناء الفكري السليم وروح المواطنة للفرد العراقي الكريم .

1- يؤدي مفهوم التسامح دوراً أساسياً في المناقشات المعاصرة حول مشكلات المجتمع متعدد الثقافات ، وتتعدى معاني هذا المصطلح ، فهو بالنسبة للبعض حالة مرغوبة من الاحترام أو الأدراك المتبادل ، بينما

(1) د . علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، دار كوفان – لندن ، ط2 ، 1995 ، ص225 .

للبعض الآخر يمثل علاقة براجماتية على افضل تقدير ، وعلاقة قمع وكبت على أسوأ تقدير ، إلا أن الأطروحة الرئيسية التي يتضمنها هذا المفهوم إنهُ يعتبر فضيلة اخلاقية وقيمة للعدالة ومطلباً للرشد والعقل .

2- تقوم قيمة التسامح على مبادئ اخلاقية معينة هذه المبادئ تعتمد على عدم انتهاك البعد الانساني للآخرين ، وتتطلب من الفرد احتراماً مطلقاً لاعتقاد الآخر حتى إذا لم يكن هناك مبادئ مشتركة بين هذا الفرد والآخر ، وهذا هو الأساس الحقيقي للحقوق الانسانية ، كما انهُ اساس التسامح الحق الذي لا يرفض السعي الى الحقيقة والسعي عنها .

3- إن من أهم ركائز بناء المجتمع السليم هو أن نبدأ ببناء الانسان وبناء الانسان يبدأ من خلال فهم الآخر والتحاور معه بغض النظر عن لونه وجنسيته وقوميته وطائفته .

4- اصبحت النهضة الحسينية نموذجاً احتدت به ثورات التحرر في العالم ومثل اعلى في القيم السامية التي ثارت من اجلها

العدالة في الخطاب الحسيني (يوتوبيا مجتمع متخيل

تحليل سوسيوثقافي

مستخلص البحث

الخطاب الحسيني كان يحمل وما يزال أبعاداً اجتماعية ، وانسانية ، ودينية ، واقتصادية ، وفكرية ويحمل دلالة وعمق كبيرين ، فهو يخاطب امة هالكة على الاستسلام والخنوع للحاكم الظالم ،

هذا الخطاب كأن كلماته حاضر مادي ومستقبل منظور ، وبعداً تاريخياً اولد الحادثة وقد مضى ، وحاضراً يستعيدها بشخوصها ومواقفها . وكان الباحث من خلال موضوعات بحثه كان يسعى أن يرسم صورة العدالة الانسانية في مجتمعه وفق الخطاب الحسيني وتوظيفه لحل الصراعات الفكرية المنحرفة في عراق اليوم من أجل أن يرسم صورة ليوتوبيا العدالة لتكون عنوان هوية الانتماء للوطن مع الحفاظ على الانتماءات المذهبية الاخرى ، وجعل الانتماء للوطن واقعاً يعلو على كل الانتماءات من خلال ثقافة السلم الاجتماعي التي تبلورت أفكارها وأهدافها في الخطاب الحسيني

Abstract

Justice in the speech –Husseini

(Utopia imagined community) analysis Sosiothagava

Husseini was carrying the speech and still social dimensions, and humane, religious, economic, and intellectual and holds great significance and depth, he is addressing a defunct nation to surrender and submission of the unjust ruler,

This speech was his material present and the future perspective, a historical dimension and Old incident I have ever been, present and reclaim Bchkhosa and positions.

The researcher through his research subjects was trying to paint a picture of human justice in society according to the speech–Husseini and employed to solve the deviant intellectual conflicts in Iraq today in order to paint a picture of Utopia justice to be the title of the identity of belonging to the country while maintaining the sectarian affiliations Other,

And make belonging to the homeland and the reality is above all affiliations through social culture of peace which crystallized its ideas and goals in the .speech–Husseini

المصادر

أولاً : المصادر العربية :

- أكرم بركات ، برقية الأمام الحسين ، كلمتان تختصران الثورة ، ط2 ، بيروت 2011.

- انتوني غدنز ، علم الاجتماع – ترجمة الدكتور فايز الصباغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط4 ، 2005 .

- جعفر البياتي ، العفو ، مجمع البحوث الاسلامية ، ط1 ، مشهد – ايران ، 1427 هـ ق- 1385 ش .

- حسين بحر العلوم ، الثورة الحسينية ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 –ج2 ، بيروت (ب،ت) .

- حسين درويش العادلي ، المواطنة ، دار المرتضى ، ط2، بغداد – العراق ، 2006 .

- عبد الجبار الرفاعي وآخرون ، التسامح ليس منه أو هبة ، دار الهادي ، ط1 ، بيروت ، 2006 .

- علي الحسيني الصدر ، أخلاق أهل البيت ، ط1 ، منشورات دليل ، قم – ايران ، 1432هـ ق – 1389 ش .

- علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، دار كوفان ، لندن ، ط2 ، 1955 .

- غسان السعد ، حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام ، العتبة العلوية المقدسة ، ط2 ، النجف الأشرف ، 2010 .

- كارل منهاين ، الأيدلوجية واليوتوبية ، ترجمة عبد الجليل الطاهر ، مطبعة الأرشاد ، بغداد ، 1968 .

- محمد علي الحلو ، الظاهرة الحسينية ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، كربلاء المقدسة ، 2010 .

- مرتضى مطهري ، اللحمة الحسينية ، محاضرات ومجالس ودروس ، دار المرتضى ، لبنان – بيروت ، 2009 .

- ياسين حسين عيسى العاملي أصول التعايش مع الآخر ، دار الهادي ، ط2 ، 2008 .

ثانياً : الرسائل والاطاريح

- أشرف عبد الوهاب ، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير ، ط1 ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 2005 .

- عبد الكاظم محسن الياسري ، الخطاب الحسيني في معركة الطف ، دراسة لغوية وتحليل (رسالة منشورة) قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة الحسينية المقدسة ، ط1 ، كربلاء – العراق ، 2009 .

Giddens A , sociology (fourth edition, Cambridge , polity press, p.47,2002

Education ; ,

tolerance and learning with diversity and difference , sage publication , london , 1997 ,p, 1

مصادر الأنترنيت

- مركز الاشعاع الاسلامي للدراسات البحوث الاسلامية Islam du. Com

- ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، الحسين بن علي ap. Wikipedia. Ary,wiki

- عبد المحسن كاظم الياسري ، تأملات حول لقاء الامام الحسين عليه السلام مع الحر بن يزيد الرياحي ، العتبة الحسينية المقدسة ، 2014/11/4 موقع على الأنترنيت .